رؤى اقتصادية ومالية لابن أبي زرع الفاسي (ت٧٤١هـ) في كتابه الأنيس المطرب

أ.د. مقتدر حمدان عبد المجيد
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

Economic and Financial Insights
By Ibn Abi Zar' al-Fassi (died 741 AH)
In his book Al-Anees Al-Musrib

Prof. Dr .Muqtadir Hamdan Abdul Majeed
University of Baghdad / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences

رؤى اقتصادية ومالية لابن أبي زرع الفاسي (ت٧٤١هـ) في كتابه الأنيس المطرب

أ.د. مقتدر حمدان عبد المجيد

ملخص :

كثيرة هي الرؤى الاقتصادية والمالية التي وردت في كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . إذ يضم هذا السفر القيم بين دفتيه روايات تميط اللثام عن أحداث وممارسات مهمة ورائدة وقعت وطبقت في الماضي القريب على ساحة بلاد المغرب . مما دفع المسؤولين بالدولة المرينية إلى اتخاذ الإجراءات السريعة لمعالجة ما حصل ، والتصدي لها .

وعلى الرغم من كثرة وقساوة هذه التداعيات والتجاذبات ، فإنه ليست من شيمة هذا البحث تحميل النصوص والرؤى فوق ما تحتمل ، وإنما هو يهدف إلى كشف الممارسات والإجراءات التي اتخذها المسؤولون في الدولة المرينية ، على حد ما ورد في رؤى ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . لأن من شأن ذلك إثراء الدراسات المقارنة . كما انه يشير إلى إمكان تلاقي تلك الممارسات مع المفاهيم المعاصرة .

الكلمات المفتاحية : ابن أبي زرع ، رؤى ، اقتصاد .

Summary:

There are many economic and financial visions that were mentioned in the book (Al-Anis Al-Mutreb in Rawd Al-Qirtas in the News of the Kings of Morocco and the History of the City of Fez). As this valuable book includes between its two covers, narrations that reveal important and pioneering events and practices that took place and were applied in the recent past on the scene of the countries of the Maghreb. This prompted the officials in the Marinid state to take quick measures to address and confront what happened.

Despite the large number and severity of these repercussions and interactions, it is not the nature of this research to download texts and visions beyond what they can bear, but rather it aims to reveal the

practices and actions taken by officials in the Marinid state, as stated in the visions of Ibn Abi Zara in his book (Al-Anis Al-Mutrib Proud al-Qirtas in the news of the kings of Morocco and the history of the city of Fez). Because that would enrich the comparative studies. At the same time, it indicates the possibility of convergence of these practices with contemporary concepts that correspond to them in action, end and means.
Keywords: Ibn Abi Zara', visions, economics.

مقدمة :

كثيرة هي الرؤى الاقتصادية والمالية التي وردت في كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . إذ يضم هذا السفر القيم بين دفتيه روايات تميط اللثام عن أحداث وممارسات مهمة ورائدة وقعت وطبقت في الماضي القريب على ساحة بلاد المغرب في العهد المريني (٦١٤ _ ٧٢٦هـ/١٢١٧ _ ١٣٢٥م) ، منذ ظهورهم ، وبخاصة في عصر السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠ _ ٧٣١هـ/١٣١٠ _ ١٣٣٠م) الذي شهد عصره احداثاً جساماً تمثلت بسنوات القحط والمجاعات التي حلت ببلاد المغرب العربي ، فشحت الأقوات ، وارتفعت أسعار السلع ، وبخاصة المواد الغذائية ، التي تشكل قوت عامة الناس . مما دفع المسؤولين بالدولة المرينية إلى اتخاذ الإجراءات السريعة لمعالجة ما حصل ، والتصدي له بحزم وقوة لتلافي ما يمكن تلافيه .

وعلى الرغم من كثرة وقساوة هذه التداعيات والتجاذبات ، فإنه ليست من شيمة هذا البحث تحميل النصوص والرؤى فوق ما تحتمل ، وإنما هو يهدف إلى كشف الممارسات والإجراءات التي اتخذها المسؤولون في الدولة المرينية ، على حد ما ورد في رؤى ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . لأن من شأن ذلك إثراء الدراسات المقارنة . كما انه في الوقت نفسه يشير إلى إمكان تلاقي تلك الممارسات مع المفاهيم المعاصرة التي تناظرها في العمل والغاية والوسيلة.

وكان ابن أبي زرع مصيباً في تناوله لمدينة فاس التي قال عنها ياقوت : مدينة مشهورة كبيرة في بر المغرب العربي ، واجل مدنه قبل ان تختط مدينة مراكش . وفاس مختطة بين

ثنيتين عظيمتين ، وقد تضاعفت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها على رأسه [١] .

اولاً : ما أورده ابن أبي زرع بشأن النشاط الزراعي

يرى ابن أبي زرع ان المرينيين اهتموا كثيراً بالنشاط الزراعي منذ ان سادوا المغرب العربي . ولا غرابة في ذلك فالزراعة والنشاط الزراعي يشكل مورداً أساسياً في حياة الناس ، كما انه يدعم بيت المال بموارد كثيرة ومتنوعة . ففي سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) بادر الأمير أبو بكر بن عبد الحق ، بتقسيم بعض أراضي بلاد المغرب على القبائل وجعل لها ما نزلت به من الأرض ، وما غلبت عليه من البلاد ، طعمة لا يشاركها فيها أحد غيرهم [٢] .

ويأتي هذا الإجراء مقارباً لما سبق ان طبق في صدر الدولة الإسلامية في عصر الرسالة [٣] ، وما بعده [٤] . حيث منحت القطائع لبعض المسلمين من الأراضي الموات من أجل احياءها واستثمارها وجعلها منتجة [٥] .، في مدة أقصاها ثلاث سنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين " [٦] .

وكان الأمير أبو بكر بن عبد الحق يحث أولئك الناس الذين منحهم الأراضي بسكن الأودية وعمارة القرى والمفازات [٧] الخالية والاستكثار من الحرث [٨] .

ورافق عملهم هذا بناء عدد من القناطر لتنظيم مجرى المياه والاستفادة منها في سقي زروعهم . واكثروا من الرحى التي تديرها المياه المتدفقة ، حتى احتوت مدينة فاس في عهدهم على أربعمائة واثنين وسبعين حجراً ، دون ما بخارجها من الأرحاء على حد قول العمري [٩] ، الذي لا نظنه إلا صادقاً .

وامتدت إسهامات سكان مدينة فاس في عهد المرينيين إلى ميادين أخرى من شأنها زيادة الإسهام في النشاط الزراعي . قال ابن أبي زرع : فأشادوا الناعورة الكبرى بوادي مدينة فاس سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، ودارت هذه الناعورة سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م [١٠] .

وتناولت مرويات ابن أبي زرع مقادير الإنتاج الزراعي في مدينة فاس وريفها . فقال : إن في مدينة فاس وريفها من : " المحرث العظيم سقياً وبعلاً ، على كل جهة ما ليس هو على مدينة من مدائن المغرب " [١١] .

وذكر العمري في مسالكه أن مدينة فاس لوحدها فيها مئة عين سارحه [١٢] . وأيده فيما ذهب اليه ياقوت الذي قال في هذا الصدد : " وقد تفجرت عيوناً تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط منبسط على الأرض متبجس من عيون في غربيها على ثلثي فرسخ " [١٣] . ثم ينساب يميناً وشمالاً في مروج خضر . فإذا انتهى النهر إلى مدينة فاس يتفرع منه ثمانية انهار صغيرة تسقي المدينة عليها نحو ستمائة رحى في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهاراً . وتدخل من هذه الأنهار في كل دار ساقية ماء ... وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها ، إلا غرناطة بالأندلس " [١٤] .

وعندئذ يمكننا أن نتخيل وفرة إنتاج المحاصيل الزراعية في مدينة فاس وحدها . هذا فضلاً عن أهمية دور نهر مدينة فاس في هذا النشاط الزراعي المتصاعد [١٥] .

وكان يزرع في مدينة فاس وريفها القمح والرز والفول والكتان والقطن [١٦] . وأنواع من الفواكه مثل الرمان والسفرجل والتين الشعري والعنب والخوخ والجزر والعناب والأترج والتفاح والكمثرى والمشمش والتوت والبرقوق [١٧] . وتكثر في مدينة فاس أشجار الأزر والبلوط [١٨] ، والكروم والزيتون [١٩] ، وأنواع عدة من المواشي والأغنام . مثل الخيل والأبقار [٢٠] .

وورد الخراج [٢١] في مرويات ابن أبي زرع فقال عنه هو أحد موارد الدولة المرينية ، فرضه الأمير عثمان بن عبد الحق على القبائل التي تستثمر أراضي زراعية ... ولم يحدد ابن أبي زرع الأسس المعتمدة عند المرينيين في فرض الخراج ، ولم يحدد مقداره ولا أوقات جبايته . إلا أن هذا لا يقلل من أهمية ما ورد من معلومات وممارسات في ميادين أخرى . وبذلك يكون كتاب الأنيس المطرب لا يمكن ان يستغني عنه الباحث في منظومة الجوانب الاقتصادية والمالية التي كانت تمارس في الدولة الإسلامية ، ومنها ما طبق في الدولة المرينية ، مما فسح المجال أمام المؤرخين والباحثين ان ينهلوا منه في إغناء مصنفاتهم .

وفرض السلاطين المرينيون الجزية على أهل الذمة (اليهود) الذين كان عددهم غير قليل بمدينة فاش عشية حكم المرينيون لهذه المدينة [٢٢] . وكان السلطان يعقوب بن عبد الحق قد أخذ خمس الغنائم التي حصل عليها جنده بعد الحملة التي جهزها على أراضي مملكة قشتالة [٢٣] .

وفرض المرينيون ضرائب أخرى على بعض المدن المغربية ، مثل فاس ومكناسة [٢٤] ، وتازة ، وقصر عبد الكريم [٢٥] . ومسوغ هذه الضرائب حمايتهم من الغارات المعادية ، وتأمين طريقهم وتنقلاتهم . وقدر ابن عذاري مبلغ الضريبة المفروضة على مدينة مكناسة من قبل بني عسكر (هم من الأسرة المرينية) بأربعة الاف دينار [٢٦] . ونعت ابن أبي زرع هذه الضريبة بـ الخفارة [٢٧] . وثقل هذه الضريبة يتمثل بكونها تشمل جميع أفراد المدينة بغض النظر عن العمر والمستوى المعاشي [٢٨] .

وأضاف ابن أبي زرع ضرائب أخرى مثل ضريبة الإنزال ، والرتب ، والقبالات . وهي ضرائب فرضت على سكان الحواضر دون سكان البوادي [٢٩] . وأشار ابن أبي زرع إلى ضريبة خُمس المعادن ، حيث عثر احد المقاتلين من أهل سبتة [٣٠] على نقود من الذهب فاخذ السلطان المريني خُمس هذا المبلغ وأعطى أربعة أخماسه للذي عثروا عليه [٣١] .

وذكر ابن أبي زرع أن الدولة المرينية سخرت كثيراً من أموال بيت المال لإعانة المحتاجين وبخاصة في سنوات القحط وانتشار الوباء ، فقدمت لهم العون المادي ، وفتحت لهم إهراء الزرع ووزعت عليهم الصدقات والألبسة في الشتاء ، وحصلت مثل هذه الكوارث في سنوات (٧٢٤ _ ٧٢٧هـ/ ١٣٢٣ _ ١٣٢٦م) [٣٢] .

وأنفقت الدولة المرينية أموالاً كثيرة في بناء وتجديد المنشآت العامة . كالأسواق وغيرها[٣٣] . والمنشآت الصحية إذ أنشأ السلطان يعقوب بن عبد الحق مارستان فاس ووفر له كل ما يحتاج اليه من أموال ومواد عينية ، وخصص له أطباء وأجرى لهم رواتب شهرية ، وحدد وجه الإنفاق عليه من جزية اليهود التي سبق أن مرت معنا . وهذا مما يشير إلى كثرة عددهم في الدولة المرينية [٣٤] .

وحظيت المؤسسات التعليمية بعناية المسؤولين المرينيين ، ففتحت المدارس التي تقاطر عليها الطلبة ، فخصصت فيها أماكن لتعليمهم ، وأماكن أخرى يسكنون فيها . وأجريت لهم ولمدرسيهم الجرايات المعتمدة والكافية [٣٥] . واهتم المرينيون ببناء القناطر وتجديد بعضها . مثل قنطرة وادي النجاة ، وقنطرة مارين [٣٦] . وحظي الجيش المريني بعناية كبيرة جداً من المسؤولين في الدولة المرينية فاغدقوا عليه أموالاً طائلة ، لا سيما عشية الحملات العسكرية التي تقع على عاتق هذا الجيش [٣٧] . . وكان للعلماء والفقهاء في الدولة المرينية حقهم من

بيت المال . دعماً لجهودهم العلمية التي شملت مواقع واسعة من أرجاء الدولة المرينية [٣٨] .

ثانياً : رؤى ابن أبي زرع عن التجارة والصناعة

أ _ النشاط التجاري

أشارت مرويات ابن أبي زرع إلى الأسواق التجارية في مدينة فاس أبان حكم المرينيين، فأثنى على مبادرات السلطان عثمان بن يعقوب المريني الذي أمر سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م بإعادة بناء أسواق باب السلسلة في مدينة فاس . إذ سبق لهذه الأسواق ان تعرضت للهدم فأعاد بناءها ، فبنيت الحوانيت على الجانبين ، كما بنى سوق الصباغين [٣٩] . وفي وقت لاحق أمر السلطان عثمان بن يعقوب بإعادة بناء سوق العطارين الذي احترق في جمادى الأولى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ، وبنى وجدد ما هدم من المباني الواقعة ما بين باب المدرسة إلى رأس عقبة الجزارين [٤٠] .

وقال ابن أبي زرع : بلغ عدد الحوانيت التجارية والقيساريات في مدينة فاس المغربية الفاً واثنين وثمانين حانوتاً وقيساريتين ، أحدهما بعدوة القرويين ، والثانية بعدوة الأندلس [٤١]. وفي إشارته إلى النشاط التجاري بمدينة فاس قال ابن أبي زرع : إن بها من الفنادق التي يرتادها التجار الغرباء والوافدون إلى هذه المدينة أربعمائة وسبعة وستين فندقاً [٤٢] . وهذا يُشير بلا ريب إلى نشاط الحركة التجارية في هذه المدينة . فضلاً عن موقع مدينة فاس التجاري إذ جعلها موقعها هذا محط التقاء الطرق التجارية الرئيسة [٤٣] .

وذكر ابن أبي زرع [٤٤] أنه كان لمدينة فاس أبواب مقرونة بعدد من المدن والأقاليم المجاورة التي تتجه هذه الأبواب نحوها . مثل : باب زيتون بن عطية الذي يتجه نحو مدينة سجلماسة [٤٥] ، وباب الخوجة المتجه نحو مدينة تلمسان [٤٦] ، قاعدة المغرب الأوسط آنذاك[٤٧] .

ويرى ابن بطوطة ان أسعار البضائع التجارية بأسواق مدينة فاس وبقية مدن بلاد المغرب كانت عند مقارنتها مع ما هو معروض بأسواق مصر وبلاد الشام أرخص ثمناً [٤٨]. واشتهر إقليم فاس بمعدن الملح الذي يقع موضعه على بعد فرسخ عن مدينة فاس [٤٩].

ومن جملة الضرائب التي فرضها المرينيون ضريبة العشور التي سماها ابن أبي زرع بـ أعشار الروم . وهي ما يؤخذ من مال (أي عُشر) من بضائع التجار الأجانب الوافدين إلى أراضي وأسواق الدولة المرينية [٥٠] .

ولعل هذه الضريبة مستمدة مما طبق في صدر الدولة الإسلامية . وتحديداً في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كتب اليه والي البصرة أبو موسى الأشعري قائلاً : إت تجاراً من قبلنا يعرضون بضائعهم في أسواق دار الحرب ، فيأخذون منهم العشر . فكتب اليه الخليفة عمر رضي الله عنه : خذ من تجارهم كما يأخذون من تجار المسلمين . وعين زياد بن حدير الأسدي ليتولى تحصيل هذه الأموال من التجار الأجانب الذين يعرضون بضائعهم في أسواق المسلمين . قال زياد بن حدير الأسدي : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً وإنما كنا نعشر تجار دار الحرب [٥١] .

وتناولت مرويات ابن أبي زرع الأوزان والمكاييل التي اعتمدها المرينيون في أسواقهم وهي : الوسق [٥٢] ، والأوقية [٥٣] ، والرطل [٥٤] ، والصاع [٥٥] ، والمُد [٥٦] ، والقفيز [٥٧] .

والأوقية تُقدر بتسعة وستين درهماً من الدراهم الصغيرة عند المرنيين [٥٨] . والصاع الذي مر معنا تواً يساوي خمسة أرطال [٥٩] والرطل المريني يساوي ٢٦ أوقية ، والصاع أربعة أمداد بمُد الرسول صلى الله عليه وسلم [٦٠] . وفي ضوء ذلك يصبح استيعاب الوسق ستين صاعاً [٦١] .

وذكر ابن أبي زرع أن بعض سلاطين الدولة المرينية قاموا بإجراء بعض التعديلات المهمة في الأوزان والمكاييل المغربية . ففي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م أمر السلطان يوسف بن يعقوب المريني بتبديل الصحفات [٦٢] ، وجعلها على مُد النبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون مرجعاً في تحقيق وضبط المكاييل الأخرى . وقد تم هذا الإجراء على يد الفقيه عبد العزيز الملزوني الذي كان له النظر في الحسبة [٦٣] .

ووردت في مرويات ابن أبي زرع إشارات إلى النقود التي يجري التعامل بها في الأسواق على عهد المرينيين ، ومنها الدينار [٦٤] . دون أن يحدد طبيعة المعدن المضروب منه . وفي أحيان أخرى يسميه ديناراً ذهبياً [٦٥] . ويرجح أن الدينار الأول هو الدينار الفضي الذي كثيراً ما أشارت اليه مصادر أخرى في عهد المرينيين [٦٦] .

وأشار ابن أبي زرع إلى أجزاء الدينار الذهبي ، كالربع . إذ أن الدينار المريني يتجزء إلى نصف وربع وثمن [٦٧] . وأحياناً يطلق ابن أبي زرع على الدينار الذهبي (المثقال) . وكان يصرف بستين درهماً من دراهم مراكش [٦٨] .

وورد عند ابن أبي زرع الدرهم اليعقوبي الذي يكون وزن ثلاثة وعشرون درهماً منه ، وزن أوقية واحدة . وهذا الدرهم ضربه السلطان يعقوب بن عبد الحق [٦٩] . في حين كان وزن الأوقية في صدر الإسلام أربعين درهماً [٧٠] . وذكر ابن أبي زرع أن لهذا الدرهم أجزاء، هي النصف والقيراط [٧١] .

ب _ الصناعة في فاس :

جاءت مرويات ابن أبي زرع عن الصناعة في مدينة فاس في عهد المرينيين (٦١٤ _ ٧٢٦هـ/١٢١٧ _١٣٢٥م) مقتضبة وشحيحة . ومع ذلك فان ما جاد به ابن أبي زرع يعطي صورة لا بأس بها عما كان من نشاط صناعي في فاس . فقال : إن الصناعات التي شاعت ومورست هو ما نقلناه من تقييد بخط الشيخ الفقيه علي بن عمر الأوسي المشرف على مدينة فاس ، والذي أخذه عن مشرف المدينة في أيام الناصر الموحدي (٥٩٥ _ ٦١١هـ/ ١١٩٨ _ ١٢١٤م) أن الحرف التي كان يزاولها الحرفيون في مدينة فاس كثيرة .

تأتي حرفة الحياكة والأطرزة في مقدمتها . إذ كانت هذه الحرفة يزاولها الحرفيون في (٣٠٦٤) موضعاً ، بينما كانت صناعة الصابون تزاول في (٤٧) داراً ، وتزاول حرفة الدباغة في (٨٦) داراً ، وتزاول حرفة الصياغة في (١١٦) داراً ، ويشغل عمال سك النحاس (١٢) داراً ، وتواجد عمال الزجاج في (١١) موضعاً ، بينما تواجد عمال الفخار في (١٨٨) موضعاً ، وشغل عمال الورق (٤٠٠) موضع لصناعة الورق ، وكان عدد الأفران التي تنتج الخبز (١٧٠) فرناً [٧٢] .

ثالثاً : حصول الكوارث الطبيعية والمجاعات :

أورد ابن أبي زرع معلومات مفيدة ووافية عن الكوارث الطبيعية التي حلت ببعض بلاد المغرب العربي وبخاصة مدينة فاس قاعدة المرينيين . وبين أسباب حصول هذه الظواهر وما رافقها من قلة موارد الطعام ، والغلاء الشديد ، والأوبئة الفتاكة ، ومدى انعكاس آثارها على حياة الناس ومعاناتهم .

ففي هذا الصدد حدد ابن أبي زرع سنوات المجاعة والأوبئة التي شهدها سكان بلاد المغرب العربي منذ دخول المرينيين واستلامهم السلطة في مدينة فاس وقضائهم على سلطة الموحدين في مراكش . وبين ظهور الأوبئة والمجاعات ، ومنها ما حصل سنة (٦١٧ _ ٦٣٥هـ/١٢٢٠ _ ١٢٣٧م) حيث عانى الناس من الغلاء الشديد وانتشار الأوبئة التي فتكت بالناس لا سيما الفقراء منهم [٧٣] .

قال ابن عذاري عن ما حصل من الغلاء في سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) : " حتى أكل الناس بعضهم بعضاً " [٧٤] . . وقال ابن أبي زرع : كان يدفن في الحفرة الواحدة المئة من الموتى من الناس [٧٥] . ويعزو ابن أبي زرع بعض ذلك إلى الفتن والصراعات التي كانت تنشب بين الخليفتين الموحدين العادل وأخيه المأمون [٧٦] . فضلاً عن الظروف الطبيعية المرافقة لهذا الصراع ، كانحسار الأمطار الذي اسهم في انتشار الأوبئة وغلاء الأسعار حتى وصل سعر قفيز القمح فيها بسعر ثلاثين دينار [٧٧] . وقال ابن عذاري عن الغلاء سنة ٦٣٤هـ١٢٣٦م : إن الغلاء كان مفرطاً حتى وصل سعر الربع من الدقيق ستة وثلاثين درهماً [٧٨] .

وأشار ابن أبي زرع إلى المجاعات والغلاء التي حلت بالمغرب العربي في سنة ٦٧٩ _ ٦٨٣هـ/ ١٢٨٠ _ ١٢٨٤م) فقال : بلغ فيها سعر مُد القمح عشر دراهم . وفي سنة (٧٢٤هـ) ١٢٢٣م) وأول سنة (٧٢٥هـ١٢٢٤م) بلغ فيها سعر مُد القمح ١٥ درهماً ، وثمن اللحم خمس أواقي بدرهم ، وبلغ سعر أوقيتان من الزيت بدرهم [٧٩] .

ويمكن أن نتصور طبيعة الزيادة في أسعار المواد المشار اليها أعلاه إذا ما علمنا أن سعر المُد الواحد من القمح بيع قبل قيام الدولة المرينية في عهد السلطان عثمان بن يعقوب بأربعة دراهم [٨٠] .

ومن الإنصاف أن نقول أن الدولة المرينية اتخذت إجراءات عدة لمعالجة ظاهرة المجاعات والأوبئة . فمرة تقوم بفتح إهراءات الزرع وإخراج ما مخزون عندها وتعرضه للبيع بأسعار مناسبة ، حيث باعت مُد القمح بأربعة دراهم . ولم تكتف بذلك ، فاحياناً تقدم على توزيع الصدقات على الناس المستحقين لها في أوقات الشدة لتخفف عنهم ما كانوا يعانون منه ، أو ترفع عن الناس بعض الضرائب [٨١] .

كما أنها كانت تقاوم حالات الاحتكار بحيث تهدم المخازن التي يحتكر فيها التجار الطعام [٨٢] . ولم يسلم التجار أنفسهم وأموالهم من حصول الكوارث التي كانت تلحق بهم أحياناً خسائر غير قليلة ، ففي هذا الشأن قال ابن أبي زرع : في سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وقع حريق بأسواق فاس ، وفي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م أحرق سوق العطارين بفاس ، وفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٢٢٥م سقط مطر غزير وحدثت سيول جارفة فهدمت بعض الدور في مدينة فاس، وجزء من سور المدينة وبعض مرافق جامعها . كما تضررت بعض فنادق فاس . وفي سنة ٧٢٦هـ / ١٢٢٥م احترقت حارة باب السلسلة بأسرها حتى حمام الرحبة [٨٣] .

وكما مر معنا ان الدولة المرينية لم تكن متفرجة حين وقوع هذه الكوارث الشديدة التي أضرت بالسكان اغنيائهم وفقرائهم ، والحقت بهم جميعاً خسائر فادحة بالأموال والممتلكات وبالأنفس . فهي والحال هذه أضرارها عامة ولم تقتصر الخسائر على فئة محدودة من الناس.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : المصادر :

ابن آدم ، يحيى بن آدم بن سليمان (ت٢٠٣هـ).

١- الخراج ، تحقيق : احمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

ابن الأحمر ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت٨١٠/١٤٠٧م).

٢- بيوتات فاس الكبرا . (الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢).

٣- النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، تحقيق : عدنان محمد آل طعمة (دمشق ، دار سعد الدين ، ١٩٧٢).

الباديسي ، عبدالحق بن إسماعيل (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م).

٤- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف . تحقيق : سعيد أعراب . (الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٨٢).

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

٥- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق : د. علي المنتصر الكتاني (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ).

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).

٦- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ).

الجزنائي ، أبو الحسن علي (ت٧٦٦هـ/١٣٧٤م).

٧- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس (الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٦٧).

ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

٨- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م).

٩- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق : محمد كمال شبانة (المغرب، مطبعة فضالة ، ١٩٧٦م).

ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

١٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٧١م).

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م).

١١- مختار الصحاح (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٦٧م).

ابن أبي زرع ، علي بن عبد الله بن احمد (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).

١٢- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط، دار المنصور ، ١٩٧٢م).

ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م).

١٣- الطبقات الكبرى (بيروت، دار صادر ، د.ت).

الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ).

١٤- تاريخ الرسل والملوك (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).

١٥- الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).

ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م).

١٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال (بيروت ، دار الثقافة، د.ت).

العمري ، احمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م).

١٧- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : احمد زكي باشا (القاهرة، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤م).

ابن غازي ، محمد بن احمد بن محمد (ت٩١٩ه/١٥١٣م).

١٨- الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون ، تحقيق : عبدالوهاب بن منصور (الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٨٨).

الفشتالي ، أبو فارس عبدالعزيز محمد بن إبراهيم (ت١٠٣١هـ/١٦٢١م).

١٩- مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا ، تحقيق : عبد الله كنون (الرباط ، المطبعة المهدية ، ١٩٦٤).

ابن القاضي ، أبو العباس احمد بن محمد (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م).
٢٠- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام في مدينة فاس ، (الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٣).
القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).
٢١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥م).
المراكشي ، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م).
٢٢- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان و محمد العربي (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٦٨هـ).
٢٣- الوزان ، الحسن بن محمد الزيات (ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م).
٢٤- وصف أفريقيا ، راجعه : علي عبدالواحد (الرياض ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٧٩).
الونشريسي ، أبو العباس احمد بن يحيى بن محمد (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م).
٢٥- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعة من الفقهاء ، بإشراف : د. محمد حجي (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م).
ياقوت ، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).
٢٦- معجم البلدان (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م).
أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت١٨٢هـ).
٢٧- الخراج، تحقيق: احمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

ثانياً : المراجع :

السائح ، حسن (الدكتور).
٢٨- الحضارة المغربية عبر التاريخ (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٧٥).
الشاهري ، مزاحم علاوي (الدكتور).
٢٩- الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين (٦٦٨-٧٥٩هـ/ ١٣٦٩-١٣٥٨م) (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠١م).

حركات ، إبراهيم .
٣٠- المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ،١٩٩٣).
الكبيسي، مقتدر حمدان (الدكتور) .
٣١- آراء العزفي في وحدات الكيل الإسلامية ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، العدد ٩٥ سنة ٢٠١٦ .
٣٢- آراء العزفي في وحدات الوزن الإسلامية ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، العدد ١٠٠ سنة ٢٠١٧ .
محمد ، سوادي عبد (الدكتور).
٣٣- دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري (البصرة ، ١٩٨٩).
موسى ، عز الدين احمد.
٣٤- النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري (بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م).

الهوامش:

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٤١٠ .
(٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٩١ .
(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ . ابن ادم ، الخراج ، ص ٧٧ .أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٧ .
(٤) ابن ادم ، الخراج ، ص ٧٧ . أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٩ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٧٢ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .
(٥) ابن ادم ، الخراج ، ص ٧٨ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ و١٨٣ و٢٠٠ .
(٦) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٦٥ . ابن ادم ، الخراج ، ص ٩١ .
(٧) المفازة : الصحراء الواسعة . سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز باجتيازها . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٥١٤ .
(٨) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٩٤ . المراكشي ، المعجب ، ص ٤٤ .
(٩) مسالك الأبصار ، ج ٢٧ ، ص ٢٩٥ . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٤١٠ .

(١٠) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠٧ . حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(١١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٣ . ابن الخطيب ، معيار الاختيار ، ص ٤٨ .

(١٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(١٣) الفرسخ : وحدة قياس المساحة يساوي ٨ أميال . ينظر : هنتس ، المكاييل ، ص ٩٤ .

(١٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٤١٠ .

(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٤١٠ . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥٥ .

(١٦) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٣ _ ٤٤ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ، ص ١٧١ .

(١٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٥ . ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٦٥٧ .

(١٨) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٣ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ .

(١٩) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤١٣ . موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص ٦٢ .

(٢٠) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٨٢ . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .

(٢١) الخراج : هو كراء الأرض الزراعية التي خضعت للدولة عنوة . ينظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٦ .

(٢٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٥٠ . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(٢٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١٩ و٣٤٧ _ ٣٤٨ . ابن غازي ، الروض الهتون ، ص ٤٥ .

(٢٤) مكناسة : مدينة بالمغرب العربي بينها وبين فاس مرحلة واحدة . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٣٠٦ .

(٢٥) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٨٩ . قصر عبد الكريم : مدينة على ساحل بحر المغرب العربي قرب سبتة . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٥٩ .

(٢٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ق ٣ ، ص ٣٥٥ .

(٢٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٦ . ابن الأحمر ، بيوتات فاس ، ص ٩١ .

(٢٨) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٦ . ينظر : الباديسي ، المقصد الشريف ، ص ١٢٣ .

(٢٩) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٥ . ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٣٠) سبتة : بلدة مشهورة من بلاد المغرب العربي ، خصبة تشبه المهدية . ينظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧ .

(٣١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١٩ . الونشريسي ، المعيار ، ج ٥ ، ص ٩٧ .

(٣٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠١ . الشاهري ، الأوضاع الاقتصادي ، ص ٧٩ .

(٣٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤١٣ . الباديسي ، المقصد الشريف ، ص ١٢٣ .

(٣٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٩٨ . الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ٢١٣ .

(٣٥) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٩٨ و ٤١١ _ ٤١٢ . حركات ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٣٣ .

(٣٦) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠٦ . محمد ، دراسات ، ص ٢٩٢ .

(٣٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١٥ و٣٢٨ . ابن الأحمر ، النفحة النسرينية ، ص ٣١ .

(٣٨) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٦٤ . السائح ، الحضارة المغربية ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٣٩) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤١٤ . الفشتالي ، مناهل الصفا ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٤٠) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤١٣ . المراكشي ، المعجب ، ص ٤٤٠ .

(٤١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٨ . ابن الخطيب ، معيار الاختيار ، ص ٤٥ .

(٤٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٨ . حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٤٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٣ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ، ص ١٧٠ .

(٤٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠ . موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص ٦٦ .

(٤٥) سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب العربي بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب ، يمر بها نهر يسقي بساتينها . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٥ .

(٤٦) تلمسان : احدى مدن المغرب العربي . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ .

(٤٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٥٩ . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

(٤٨) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٦٥٧ _ ٦٥٩ .

(٤٩) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٥ . ابن غازي ، الروض الهتون ، ص ٤٤ .

(٥٠) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٥٧ . ابن الأحمر ، بيوتات فاس ، ص ٩٠ .

(٥١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٥ . ابن ادم ، الخراج ، ص ٢٥ . أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢٨ .

(٥٢) الوَسِقْ : وحدة كيل يساوي ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الكيل ، ص ١٣٥ .

(٥٣) الأوقية : وحدة وزن تساوي وزن أربعين درهماً . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الوزن ، ص ٩ .

([٥٤]) الرطل : وحدة وزن ، وهو اسم لمقدار من الموزونات تقديره بالعرف لا بالوضع . وهو من أكثر وحدات الوزن استعمالاً في بلاد العرب . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الوزن ، ص ١٠ .

([٥٥]) الصاع : هو الوحدة الأساسية للكيل ، والصاع الشرعي يساوي أربعة أمداد عند أهل المدينة المنورة ، أو يساوي ثمانية أرطال بغدادية . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الوزن ، ص ١٣٢ .

([٥٦]) المُد : وحدة كيل تساوي أربعة أمداد أو ربع صاع . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الكيل ، ص ١٣٥ .

([٥٧]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٤ . القفيز : وحدة كيل تتسع لثمانية مكاكيك . وكل مكوك ثلاث كيلجات . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الكيل ، ص ١٣٤ .

([٥٨]) ابن بعرة ، الدوحة المشتبكة ، ص ٨٧ .

([٥٩]) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٥٣ .

([٦٠]) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

([٦١]) ابن ادم ، الخراج ، ص ١٤٠ .

([٦٢]) الصحفة : الجمع صحاف ، من المكاييل المغربية التي كانت تساوي في فاس ٤٠ صاعاً محلياً ، وهي تساوي ٥٠ صاع من صيعان النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحفة تشبع الرجل . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٥٧ .

([٦٣]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٨٤ .ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

([٦٤]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠٢ . الونشريسي ، المعيار ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

([٦٥]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٥٥ ، ٤٠١ . الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ٢١١ .

([٦٦]) الجزنائي ، جني زهرة الآس ، ص ٦٢ . ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

([٦٧]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠١ . الشاهري ، الأوضاع الاقتصادية ، ص ٨٢ .

([٦٨]) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٧ .

([٦٩]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٠٢ ، ٤٠١ . حركات ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٣٠ .

([٧٠]) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٣ . المقريزي ، شذور العقود ، ص ٦ .

([٧١]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٠٢ . ابن الأحمر ، النفحة النسرينية ، ص ٣٠ .

([٧٢]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٨ _ ٤٠ . الجزنائي ، جني زهرة الآس ، ص ٤٤ _ ٤٥ .

([٧٣]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ . السائح ، الحضارة المغربية ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

(٧٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٧٥) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٩ . الفشتالي ، مناهل الصفا ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .

(٧٦) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٩ . المراكشي ، المعجب ، ص ٤٤٣ .

(٧٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٥٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ . ابن الخطيب ، معيار الاختيار ، ص ٤٤ .

(٧٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٧٩) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣٤٠ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ . ابن خلدون، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ .

(٨٠) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٠١ . موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص ٦٨ .

(٨١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٩٥ ، ٢٩٧ ،٤٠١ . ابن غازي ، الروض الهتون ، ص٤٦.

(٨٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٥ . الباديسي ، المقصد الشريف ، ص ١٢٢ .

(٨٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٥ . ابن الأحمر ، بيوتات فاس ، ص ٩٠ .